الله " جل جلاله"
بين الصدفة واليقين

أ.م.د.إحسان كاظم شريف القرشي
جامعة الكوفة/كلية الإدارة والاقتصاد

المستخلص
من خالق هذا الكون بمظاهر المتعددة؟ سؤال اجابت عليه الفطرة والفلسفة والقران الكريم ايضا.
ان هدف البحث يتلخص في حقيقة الله "عز وجل" وانه هو خالق الكون من خلال نظرية الاحتمال فضلا عن الاجابات السابقة.

Summary
Who creates our world and its phenomena? We have many answers for this question; the axiomatic answer, and the philosophy answer and the Qoran answer too. The aim of this paper is to proof the existence of Allah creates this world. By using the probability theorems together with previous answer.

استهلال:
"أفي الله شك فاطر السماوات والارض"
"إبراهيم من الآية 10"

يحيط بالإنسان منذ ان وجد عدد لانهائي من الظواهر والأشياء...واخذ الإنسان بالتأمل والتفكير ومنذ أماد بعيدة في كل ما يحيط به من مظاهر الخلق والإبداع والتصميم المدهش في الارض وفي السماوات وما بينهما. ان السؤال الذي يدور في ذهن الانسان ومنذ القدم هو : من خالق هذا الكون العجيب؟ وما الدليل عليه؟ وقد توالت إجابات عدة على هذا السؤال من خلال الفطرة والدين والفلسفة... وبأساليب وبراهين مختلفة ... الا ان الانسان ما زال يتطلع الى المزيد لمعرفة هذا السر العظيم وحل هذا اللغز المحير خاصة بعد التطور العلمي.

المبحث الأول

1 1مشكلة البحث:-

نشأة العالم هل هي مصادفة ام قصد ؟ ..سؤال قديم مغرق في القدم، وتوالت الإجابة عليه جيل بعد جيل ..اجابت الفطرة..وأجابت الفلسفة ..وأجاب المتكلمون ..وأجاب الدين...ولكل منهم أساليبه وبراهينه ..والآتي عرض بسيط وموجز لهذه الإجابات...

أ- جواب الفطرة:-
سُئل الأمام الصادق "ع" :- يا ابن رسول الله دلني على الله؟
قال : يا عبد الله ، هل ركبت السفينة ؟ قال :بلى ، قال :هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك ؟قال : بلى قال :فهل تعلق قلبك هنالك ان شيئاً من الاشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك ؟ قال : بلى ،قال الصادق "ع" : فذلك الشئ هو الله...

بهذه البساطة يتجلى الاعتقاد بالله تعالى بالفطرة البشرية عند الانسان.

ب-جواب الفلسفة:-

للفلسفة أسلوبها الخاص في الاستدلال والبرهان...ولعل أوضح البراهين قول الفلاسفة: ((الوجود ان كان واجباً فهو المطلوب ، والا استلزمه لاستحالة الدور والتسلسل)).
وتوضيح هذا الإجابة هو :- انه لما كان لهذا الكون موجد بلا شك لانه لايمكن ان يوجد شيء من العدم بنفسه، وكان هذا الموجود موجوداً - بلا شك – لانه لا يمكن ان يكون وجود الكون سبباً من أمر عدمي، أي من موجد لا وجود له. فهذا الموجد اما ان يكون واجب الوجود او لا!...
فان كان واجب الوجود فقد ثبت المطلوب. وان لم يكن واجب الوجود فلابد من سبب مؤثر فيه، فان كان هذا السبب المؤثر واجب الوجود فهو المطلوب ايضاً ، وان لم يكن كذلك فلا بد له من سبب مؤثر ايضاً.
وهكذا ينتهي بنا الامر الى الجزم بوجود خالق واجب الوجود هو مصدر الوجود ومودعه في الكون والا لزم الامرين :-

1- التسلسل:-
ومعناه ان يتوقف كل موجود على موجد، وهذا الموجد على آخر يوجده وذلك على موجد ايضا والى ما لانهاية. وقد ثبت في العقل ان التسلسل اللانهائي باطل لانه لا يوصل الى نتيجة.

2- الدور :-
ومعناه ان الموجود المؤثر قد خلق شيئاً هو المعبر عنه بـ "الأثر" وان يكون ذلك الأثر هو الموجد المؤثر فيه. وهذا واضح البطلان لانه ينتهي الى توقف الشيء على نفسه.
ولما كان التسلسل والدور باطلين ،فقد ثبت انه لابد من الإقرار بوجود صانع موجد واجب الوجود لذاته هو الله تعالى.

ج- جواب المتكلمين :-

ان المتكلمين اعتمدوا على المنهج العقلي الحر ،بعيداً عن النقل والتقليد وكان من أوضح براهينهم أقوالهم الآتية:-
" أن الأجسام وما يجري مجراها حادثة ،والذي يدل على حدوثها استحالة خلودها من المعاني المتجددة ، وما لم يخل من التجدد يجب ان يكون محدثاً ، فإذا ثبت حدوثها فلنقس على أفعالنا بعلم ان لها محدث".
وقولهم " العالم محدث كائن بعد ان لم يكن ، لان جميعه فيه اثر الصنعة من طول وقصر ، وصغر وكبر، وزيادة ونقصان ، وتغير من حال الى حال، واستبدال ليل بنهار ، والله تعالى خالق ذلك ومنشؤه ومصوره ومبدؤه ،لان الصنع لابد له من صانع ،والكتاب لابد له من كاتب ،والبناء لابد له من بان".

د- جواب الدين :-

لقد تضمن القران الكريم على جملة من الأدلة والشواهد والبراهين من خلال الآيات القرآنية الشريفة المعنية بهذه المشكلة ، وتوجهت الى عقل الانسان تحثه على التأمل في خلق هذا الكون بما فيه من تعقيدات وشؤون لا يمكن ان تكون بلا قدرة قادر وتصميم خالق. والآتي بعض الآيات القرآنية المحكمة على سبيل المثال لا الحصر:
1- ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من الماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون. (البقرة164)

2- والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير. (النور 45)

3- وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كال شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكماً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون. (الأنعام 99)

4- هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين. (لقمان 11)

اذن وبعد هذا الاستعراض الموجز يمكننا ان نقول ان مشكلة البحث تكمن من معرفة القوة التي تقف وراء هذا التنظيم الدقيق والرائع لكل جزيئات الكون.

2-1 هدف البحث :

ان الدين الاسلامي وكتابه القران الكريم ،صنوان لايفترقان مع العلم والعقل ،لا بل انهما قائمين عليهما ومستندين اليهما.
ولما كنا نعيش في عصر العلم والتطور التكنلوجي فأن الاستدلال العلمي هو احد الاساليب القديرة على ملىء وجدان الانسان وحل ذلك اللغز المحير، لاثبات ان خالق الكون هو الله"عز وجل" حقيقة ثابتة من خلال نظرية الاحتمال.

3-1 فرضيات البحث:-

عودة الى السؤال الذي ذكرناه في مشكلة البحث والقائل:-
"نشأة العالم ،هل هي مصادفة ام قصد ؟ "تتجسد لنا اربعة احتمالات للاجابة على هذا السؤال..وهي:-

1 - احتمال ان يكون الكون مجرد وهم وخيال.
2 - احتمال ان يكون الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم.
3 - احتمال ان يكون الكون ابدياً ليس لنشأته بداية.
4 - احتمال ان يكون الكون له خالق.

ان الاحتمال الاول لا يقيم امامنا أي مشكلة لانه يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجود هذا الكون وبالتالي فهو لايحتاج مناقشة او جدال.
اما الاحتمال الثاني فهو ايضا ليس له موضعاً للنظر والمناقشة لانه يدعي ان الكون بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحدة من العدم.
اما الاحتمال ين الثالث والرابع فانهما جديران بالمناقشة والاختبار حيث انهما يشتركان في عنصر الازلية ... فأما ان ننسب صفة الازلية الى الصدفة العمياء وعالم ميت..او ننسبها الى حيٍّ يخلق؟
عليه فان فرضيات البحث تتلخص في الاخذ باحد هذين الاحتمالين اكثر من الاخر..بمعنى:-

الفرضية الأولى:-

أن هذا الكون ومظاهره الرائعة والمتناسقة لا وجود لخالق له ، بمعنى ، ان حوادث الكون حوادث مستقلة عن بعضها البعض وتخضع للصدفة ولا حاجة الى سبب وعلة خارجية.

الفرضية الثانية:-

ان هذا الكون له موجد خالق هو الله "تعالى" .

المبحث الثاني

ان هذا الكون الرائع الفسيح الذي يحتوي على عدد لا نهائي من الاحداث (الظواهر) كالانسان والارض والشمس والنبات والحيوان والماء والسماء والنجوم..الخ من الاحداث التي يعرفها الانسان والتي لم يتعرف عليها لغاية الان ، فنرى ان الانسان يتكون في أصله من خلية واحدة وهذه الخلية هي وحدة البناء في كل مخلوق ويبلغ عددها في جسم الانسان عشرة بلايين خلية تقريباً ،تؤدي كل خلية وظيفة معينة داخل الجسم وتختلف الخلايا في اشكالها حسب وظائفها.

أما عالم الحيوان فيقدر العلماء فصائل الحيوان أكثر من مليوني فصيلة، والأماكن التي تعيش فيها هذه الفصائل مختلفة منها البر ومنها البحر.

وأما النبات فهو عالم قائم بذاته وفصائل النبات تقرب من نصف مليون في العدد وهي مختلفة في التراكيب والتزاوج والاعمار الى ابعد الحدود.

أما الماء فهو في طليعة المواد الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها مطلقاً لسائر الكائنات الحية.
أما مجموعتنا الشمسية فأنها تشمل مائة بليون نجم تقريباً ،منها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة ومنها ما لا يرى الا بالمجاهر ، ولا يوجد أي احتمال لاقتراب مجال مغناطيسي لنجم من نجم أخر.

والارض التي نسكن عليها ،خلقت وكل ما فيها ينطق بكونها ملائمة للحياة، تدور حول نفسها فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار وتدور حول الشمس فيكون ذلك تتابع الفصول الذي يؤدي بدوره الى زيادة المساحة الصالحة للسكن فيها ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية ،ولهذا الدوران حساب دقيق لا يزيد ولا ينقص،لأن زيادته او نقصانه عما هو عليه الان لا يسمح بقيام الحياة.
ويحيط بالارض غلاف جوي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع يزيد على 500 ميل اضافة الى وظائفه الأخرى من حماية الارض..الخ.
والحق لو إننا أردنا الكلام عن هذه الحوادث وغيرها التي يعرفها الانسان كالشمس والقمر...الخ لطال بنا الحديث، ولا تتسع حدودنا الخاصة بهذا البحث للإفاضة في هذه الناحية . فالعلاقات المتشابكة العديدة والتفاعلات الكيمياوية والفيزياوية وحجم هذه الاحداث وبعدها عن بعضها البعض والجاذبية وما في باطن تلك الاحداث ..الخ كلها أمور شيقة مذهلة تثير الإعجاب والتأمل.

1-2 اختبار فرضيات البحث:

ان نظرية الاحتمال قد أدت إلى إحداث تحول عميق في تفسير القضايا العلمية ،لما لها من الأسس الرياضية السليمة ما يجعلها تطبق على نطاق واسع حينما انعدم الحكم الصحيح المطلق..وتضع نظرية الاحتمال أمامنا الحكم الأقرب إلى الصواب مع تقدير احتمال الخطأ في هذا الحكم ..لذا فأن الاحتمالات هي فكرة رئيسية في فهم المنهج العلمي وفي فهم معقولية الاعتقاد.
وبعد حصر فرضيات البحث الأربع بفرضيتين كما مر بنا..وطالما ان قيمة الاحتمال تساوي " 1 " فأن احتمال صدق أي فرضية مساوياً الى " $\frac{1}{2}$ " ولغرض تبسيط الفكرة عند حساب الاحتمال لكل من الفرضيتين ، دعنا نفترض جدلاً ان الكون يتكون من الاحداث(الظواهر) الخمس الآتية: الشمس،الأرض،الإنسان،النبات،الحيوان ونختبر فرضية البحث.
فأما ان تكون هذه الاحداث مستقلة عن بعضها البعض من حيث النشأة والحركة والحياة..الخ وإنها تخضع للصدفة كما تدعي الفرضية الأولى .
أو أن تكون هذه الاحداث غير مستقلة بعضها عن بعض الاخر، وإنها مترابطة شرطياً، بمعنى ان احتمال حدوث أي حدث مشروط بحدوث الاحداث الأخرى.
وبعدها نوسع حساب الاحتمال بحيث نفترض ان الكون يحتوي على 10 أحداث وبعدها عشرين حدثاً ومن ثم نعمم النتائج كما سيأتي ذكره.

أ - حساب احتمال الفرضية الاولى : القائلة باستقلالية الظواهر(الحوادث) وبما أنها تخضع للصدفة.

1 - إذا كانت لدينا "5" ظواهر في الكون فان احتمال حدوثها جميعاً هو:

$$P(E_1E_2E_3E_4E_5) = P(E_1).P(E_2).P(E_3).P(E_4).P(E_5)$$
$$= \frac{1}{2}.\frac{1}{2}.\frac{1}{2}.\frac{1}{2}.\frac{1}{2}$$
$$= \frac{1}{32}$$
$$= 0.03125$$

2 - إذا كانت لدينا "10" ظواهر في الكون فان احتمال حدوثها جميعاً هو:

$$P(E_1E_2.....E_{10}) = P(E_1).P(E_2).P(E_3).....P(E_{10})$$
$$= \left(\frac{1}{2}\right)^{10}$$
$$= \frac{1}{1024}$$
$$= 0.00097656$$

3 - إذا كانت لدينا 20 ظاهرة(حادثة) في الكون فان احتمال حدوثها جميعاً هو:

$$P(E_1E_2.....E_{20}) = P(E_1).P(E_2).P(E_3).....P(E_{20})$$
$$= \left(\frac{1}{2}\right)^{20}$$
$$= \frac{1}{1048576}$$
$$= 0.00000095$$

وهكذا نرى، كلما كثرت مظاهر(أحداث) الكون كلما اقترب الاحتمال من الصفر،ولما كان الكون يحتوي على مظاهر لا تعد ولا تحصى فان قيمة الاحتمال هذه الفرضية ستكون صفراً.

ب -حساب احتمال الفرضية الثانية: القائلة بوجود خالق للكون...ان هذه الفرضية تذهب الى ان مظاهر الكون(أحداثه) غير مستقلة.

1 - اذا كانت لدينا "5" ظواهر في الكون فان احتمال حدوثها جميعاً هو:

$$P(E_1E_2E_3E_4E_5) = P(E_1).P(E_2 \mid E_1).P(E_3 \mid E_1E_2).P(E_4 \mid E_1E_2E_3).P(E_5 \mid E_1E_2E_3E_4)$$

وبما ان احتمال حدوث أي حدث يساوي $\frac{1}{2}$.

كما ان احتمال حدوث أي حدث مشترك يساوي " $\frac{1}{2}$" وذلك لان الخالق واحد ولا يتعدد بتعدد الأحداث...بمعنى ان الخالق الذي يقف وراء الظاهرة الاولى هو نفسه الخالق في الظاهرة الثانية والثالثة وهكذا.
لذا فأن:

$$P(E_1E_2E_3E_4E_5) = P(E_1).\frac{P(E_1E_2)}{P(E_1)}.....\frac{P(E_1E_2E_3E_4E_5)}{P(E_1E_2E_3E_4)}$$
$$= \frac{1}{2}.\frac{1/2}{1/2}.....\frac{1/2}{1/2}$$
$$= \frac{1}{2}$$

2 - أذا كانت لدينا 10 مظاهر فأن احتمال حدوثها معاً هو :

$$P(E_1E_2.....E_{10}) = P(E_1).\frac{P(E_1E_2)}{P(E_1)}.....\frac{P(E_1E_2.....E_{10})}{P(E_1E_2....E_9)}$$
$$= \frac{1}{2}.\frac{1/2}{1/2}.....\frac{1/2}{1/2}$$
$$= \frac{1}{2}$$

3 - إذا كانت لدينا 20 حادثة(ظاهرة) فأن احتمال حدوثها معاً هو:

$$P(E_1E_2.....E_{20}) = P(E_1).\frac{P(E_1E_2)}{P(E_1)}.....\frac{P(E_1E_2.....E_{20})}{P(E_1E_2....E_{19})}$$
$$= \frac{1}{2}.\frac{1/2}{1/2}.....\frac{1/2}{1/2}$$
$$= \frac{1}{2}$$

وهكذا نرى كلما كثرت الاحداث كلما بقي الاحتمال نفسه " $\frac{1}{2}$ " والجدول الآتي يوضح مقارنة بين االحتمالات الفرضيات ولاعداد مختلفة من الأحداث(الظواهر).

جدول (1)

الاحتمالات المحسوبة لكلا الفرضيتين ولاعداد مختلفة من الحوادث

عدد الحوادث / الفرضية	1	2	10	100	1000	100000
الفرضية الاولى	0.5	0.25	0.00097656			
الفرضية الثانية	0.5	0.5	0.5	0.5	0.5	0.5

3-2 مناقشة النتائج

ان نتائج حساب الاحتمالات السابقة ساهمت بالدليل الرياضي القطعي في إثبات الفرضية الثانية القائلة بأن هذا الكون ومظاهرة الرائعة والمتناسقة لابد ان يكون لها خالق موجد هو الله "سبحانه وتعالى" ..لان قيمة احتمال هذه الفرضية بقيت محتفظة بدرجتها المساوية لـ " $\frac{1}{2}$ " مهما كان عدد مظاهر "أحداث" الكون ..بينما ساهمت نظرية الاحتمال في الجانب الاخر في إسقاط الفرضية الأولى القائلة بعدم وجود خالق حي لهذا الكون لذا لابد من الأخذ بالفرضية الثانية التي تشير الى وجود القصد والحكمة وراء خلق هذا الكون الفسيح ووجود خالق صانع حكيم له.

الخاتمة:

لعل من المفيد ان نختم هذا البحث بمقولة للإمام علي "ع" ومن الطريف ان ننقل واقعه لأحد الأعراب ..للتدليل بوجود الله "سبحانه وتعالى"

1 - قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "عليه السلام"
"لا تراه العيون بمشاهدة العيان ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الأيمان".

2 - سئل إعرابي قديماً ..كيف عرفت الله فقال:
"البعرة تدل على البعير ،واثر الأقدام يدل على المسير ، افسماء ذات أبراج وارض ذات فجاج ،لا يدلان على اللطيف الخبير"

المصادر:

1 - القرآن الكريم.
2 - البغدادي، فرحان ،علماء الطبيعة والإيمان بالله .بغداد 1979.
3 - البغدادي، فرحان، من الخالق الله أم المادة. بغداد 1977.
4 - الخالصي، جواد من الكفر الى الإيمان. بغداد 1976.
5 - خليل، د.بكر محمد ، المنطق عند الغزالي . بغداد 2001.
6 - الصدر ، حسين إسماعيل ، وجود الله بين الاستقراء ونظرية الاحتمالات. بغداد 2000.
7 - الصدر ، محمد باقر، فلسفتنا ، بيروت ،2000.ط2.
8 - الصدر ، محمد باقر ، الأسس المنطقية للاستقراء.
9 - آل ياسين ، محمد حسن ، الله بين الفطرة والدليل . بغداد 1979.
10 -آل ياسين ، محمد حسن ،المادة بين الأزلية والحدوث . بيروت 1974. ط4.
11 المعنبكي ، د. مجيد ، الله والناس بحث مقبول للنشر في مجلة بيت الحكمة ، بغداد.
12 مجموعة من العلماء ، الله يتجلى في عصر العلم . القاهرة 1968.

13- S.C.Gupta, V.K. Kapoor, Fundamentals of Mathematical Statistics,1977.